فى البيت...

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

أيا غرفةً مرموقةً لِصَقَ غرفتى
مطفَّأة الأنوار رَهْناً بظلمةِ

أرى بابَك المطروقَ أمسى موصَّداً
ومخدعُ زوجى أنتِ ، بل أنت جنّتى

فأدعو بزوجى وهى جدُّ سميعةٍ
لأمرى ،ولكن الصدى رَجْعُ دعوتى

لقد كنتِ يازوجى لدى الصبح موقظى
وكنتِ حسيبى فى خروجى وأوبتى

فما لىَ لا ألقاك يومى وليلتى
وبابُك من بابى على قيد خطوة

أرى من خلال السجف نوراً مُشَعْشَعاً
من الشمس ، لكن لا أرى شمس مهجتى

وأسمع للأطيار تزقو كما زَقَتْ
وللوُرْق تُزجى سجعةً بعد سجعة

فأين فتاتُ الخبز تُلقينه لها
فيَنْقُرْن منها حبَّةً إثر حبّة

عرفن أوانَ الأكل فهى كعهدها
تراءى صفوفاً فوق سورٍ وأيكة

تآلَّفتيها يا إلفَ قلبى وأنسَه
فمالىَ فى هذا الحِمَى نَهْبَ وحشة!

ألا تسأليني كيف أصبحتُ ؟ فى الضحى
وتَرْجين لى طيبَ الكرى فى العشية

عهِدْتُك لا ألفاكِ حتى تزيَّنى
ألم تفرغى لى من حُلِىٍّ وزينة

شريكةَ عيشى ، أسفر الصبحُ فاطلعى
أعِدّى قطورى وانتقى لىَ حُلّتى

مكانك خالٍ فى الخوان فأقبلى
فنَهْنا طعامى من حديث وطلعة

وإنى لِنادٍ للخروج كعادتى
فأين وَداعى بالوصيد وقُبلتى

أغضْبَى بلا ذنب وفى غير مَغضبٍ
وأنت الرضى والصفح عن كل زلة

وكنتُ أعزَّ الناس عندك برهةً
أهُنْتُ عليك اليومَ من بعد عزّة ؟

معاذ الهوى ! ما إن صمدتِ لجفوةٍ
ولكنه حكمُ القضاء المشتَّت

نَأىُ بك عنى للمنية غائلٌ
ولولا المنايا ما سكنتِ لفرقتى

فأعدَمنى بيتى وعيشى وجنتى
وكانت هنا فى غرفة لِصق غرفتى

أمرُّ فأزوى الطرفَ عنها تألماً
وكأن إليها ما مررت تَلَفُّتى

ويفجؤنى أن يفتحَ الباب فاتحٌ
كأنْ كشف اللحّادُ عن جوف حفرة

أطامن صوتى — إن همست — محاذراً
وأحبس أنفاسى وأخلس مشيتى

وما بى حذارٌ أن أنبّه هاجعاً
ويا ليت يصحو الميْتُ من بعد هجعة

ولكن مزيجٌ تارةً من نهيب
وخوف ، وطوراً من خشوع وحرمة

ووالله لا أدرى أتفكير عاقلٍ
أفكر ؟ أم هذى سمادير جُنّة